ها هنا نجد المازنى يصف المتناقضات وصفا يحتاج إلى التوضيح . وخليق بنا أن نسأل عن تصور المازنى للثقافة القديمة . ولعلك تلاحظ أن فكرة الخوف ليست غريبة . وفى وسعنا أن نسأل لماذا تفرش الأرض تحت البساط بالحصير ؟ ولماذا تصر الوالدة على أن (تفسد) منظر الغرفة . والذين رأوا الزير وعرفوا فضله لايغنيهم هذا الفضل عن أن يسألوا أنفسهم ماذا تعنى صورته ؟ إن الإنسان يخلق من الأداة التى يستعملها ابتغاء تحقيق منفعة وهما وأسطورة . هذا الوهم لاينفك عن أغراض الزير التى يؤديها لنا . وقبل أن تأخذ فى الظنون المختلة عن الزير أرجو أن تسأل لماذا تكون القوارير كثيرة كثرة مفرطة . ثم إننا نحرص على أن تغسل زجاجة الدواء وتنظف وتحفظ . . هل نقاوم المرض مقاومة وهمية ؟ هل نخلق أغراضا لا شعورية من القوارير والزير . هل نخشى التعبير عن المتعة والغنى فنضع تحت البساط حصيرا .

هل فى عقولنا أفكار يحميها الخوف . قديمة كالجبل ، كثيرة الغضون مثل المدينة . أرأيت كيف تكون المدينة كثيرة الغضون . تتحدانا بقدمها وشيخوختها . ولماذا توضع القهوة فى فنجانة قوراء لها ظرف توضع فيه ولاتستقر عليه . ولماذا نبتهج إذا أريقت القهوة على الثياب . أليست هذه جميعا طقوسا تساعد على أن نتطهر تطهرا خياليا من الخوف . ألسنا فى بعض هذه الطقوس نمارس الخوف ونتغلب عليه . ها هنا أشكال القوارير المختلفة تجسم مخاوفنا ، وتحمى نفوسنا .

أكان المازنى يتحدث عن عوائق كامنة فى عقولنا قائلا إن الثقافة الحديثة ـ مع الأسف ـ توشك أن تكون طلاء للثقافة القديمة لاتمحوها . وبعبارة أخرى إننا نجمل الخوف ونحسنه ، وننظر إليه فى إعجاب بين وقت وآخر .

عنى المازنى بفكرة الخوف ، وكان يعلم أن المحبة فى نماذج كثيرة من ثقافتنا تعبير يكنى عن الخوف ، وأن إشباع الرغبات المقبولة ـ فى اعتقاد كثيرين ـ يفتح الباب أمام الشيطان . ومن أجل ذلك عالج فكرة التعرف على الآخرين علاجا متنوع الأبعاد . ومايزال هذا الجانب محتاجا الى المزيد من التأمل . قال المازنى وهو ينتظر صديقة له : وبقيت أنا أتمشى فى الحجرة ، ولم يكن فيها مايسلى المرء ، فجعلت أقوم وأقعد وأنظر تارة فى المرآة ، وأمسح الطربوش تارة أخرى . ومسحت الحذاء أيضا مرتين حتى صار جلده كالمرآة ، وحتى حدثتنى نفسى أن أخلعه وأنظر إلى وجهى فيه ، ولكنى خفت أن تدخل على وأنا أفعل ذلك . ولم أجد شيئاً أخر أصنعه فى هذه الغرفة